

أضواء البيان

. . @ 223 @

وإما إطلاقها في القرآن فالأول منهما إطلاقها على الآلة الكونية القدرية ، كقوله تعالى :
{ إِنَّ سَعْيَكُمْ فِي خَلْقِ السَّمَّاءَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَا يَنَالُ لَنَا وَلَوْلَا الَّذِي لَدَيْكَ لَإِيَّاتٍ لِّلْكَافِرِينَ } أي علامات كونية قدرية ، يعرف بها أصحاب العقول
السليمة أن خالقها هو الرب المعبود وحده جل وعلا . والآلة الكونية القدرية في القرآن من
الآلة بمعنى العلامة لغة . .

وأما إطلاقها الثاني في القرآن فهو إطلاقها على الآلة الشرعية الدينية ، كقوله : {
رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللّٰهِ } ونحوها من الآيات . .
والآلة الشرعية الدينية قيل : هي من الآلة بمعنى العلامة لغة ، لأنها علامات على صدق من
جاء بها . أو أن فيها علامات على ابتدائها وانتهائها . .

وقيل : من الآلة . بمعنى الجماعة ، لاشتمال الآلة الشرعية الدينية على طائفة وجماعة من
كلمات القرآن . قوله تعالى : { مَن يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ
فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا } . بين جل وعلا في هذه الآلة الكريمة : أن الهدى
والإضلال بيده وحده جل وعلا ، فمن هداه فلا مضل له ، ومن أضله فلا هادي له . .

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جداً ، كقوله تعالى : { وَمَن يَهْدِ اللّٰهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِلَاقًا وَجُوهَهُمْ عُمُقِيًّا وَبُكْمًا وَمَصْمًا } ،
وقوله : { مَن يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ } ، وقوله : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ لِلّٰهِ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ } ، وقوله : { وَمَن يُرِدِ اللّٰهُ فَيُضِلْهُ فَلَن تَمْلِكَ
لَهُ مِّنَ اللّٰهِ شَيْئًا } ، وقوله : { إِنَّ تَحْرِصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَلَا يَنصُرُ
اللّٰهُ لََّا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ } ، وقوله تعالى : {
فَمَن يُرِدِ اللّٰهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَن زَمَّ يَصْحَاحًا فِي السَّمَّاءِ }
والآيات بمثل هذا كثيرة جداً . .

ويؤخذ من هذه الآيات وأمثالها في القرآن بطلان مذهب القدرية : أن العبد مستقل بعمله
من خير أو شر ، وأن ذلك ليس بمشيئة الله بل بمشيئة العبد . سبحانه جل وعلا عن أن يقع في

ملكه شيء بدون مشيئتها وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ! وسيأتي بسط